نفحة الريحانة
ورشحة طلاء الحانة

لمحمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي

١٠٦١ - ١١١١ هـ

تحقيق

عبد الفتاح محمد الحلو

الجزء الأول

طبع بدار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتى

١

استطاعت الخلافة العثمانية فى تركيا أن تحكم قبضتها على البلاد العربية خلال النصف الثانى من القرن العاشر الهجرى ، وأن تخضع لهيبتها الفئات التى كانت تسيطر على مقاليد الأمور فيها .

وكان النصف الأول من القرن الحادى عشر الهجرى يحمل بين طياته صبغ الحيـاة فى هذه الرقعة المترامية من البلدان الإسلامية بصبغة الحكم التركى ، وأصبحت الخـلافة العثمانية امبراطورية مرهوبة الجانب ، عزيزة الـكلمة ، يمتد سلطانها من المحيط الهندى ، إلى البحر المتوسط ، ثم إلى شواطىء الأطلسى ، أو بحر الظلمات كما كان يعرف .

ولقد أدركت الدول الأوربية خطر هــذه الإمبراطورية ، وبدأ الصراع معها فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر ، وأوائل القرن الثانى عشر ، ذلك الصراع الذى بدأه البنادقة بغاراتهم على الشواطىء التركية عن طريق البحر ، والذى تمثل فى حـرب النمسا ، ثم ما كان من اتفاق البنادقة وبولونيا والبابا ورهبنة مالطة والروسيا والقوزاق وتسكانه مع النمسا ، وتـكوينهم عصبة واحدة تعرف باسم (Sainte-Alliance) أى الاتحاد المقدس ، لمحاربة الدولة العثمانية ، ولم يوضع حد لهذا الصراع إلا بمعاهدة قارلوفيچه (Carlowitz) سنة ١١١٠ هـ [١] .

---

(١) حقائق الأخبار عن دول البحار ١/٦١١ .

هذا الصراع بين الدولة العثمانية ، والدول الأوربية ، صرفها - إلى حدما - عن الاهتمام بما تحت يدها من ولايات عربية ، وجعلها تفكر بين حين وآخر في إصلاح أداة الحكم في تركيا نفسها ، فإن الحروب المستمرة أنهكت مالية الدولة ، وجعلت للعسكريين اليد العليا في تصريف الأمور .

ولقد تولى الخلافة في هذه الفترة أربعة من السلاطين ، هم [1] :

السلطان محمد خان الرابع ابن السلطان إبراهيم خان (١٠٥٨ - ١٠٩٩)

السلطان سليمان خان الثاني ابن السلطان إبراهيم خان (١٠٩٩ - ١١٠٢)

السلطان أحمد خان الثاني ابن السلطان إبراهيم خان (١١٠٢ - ١١٠٦)

السلطان مصطفى خان الثاني ابن السلطان محمد الرابع (١١٠٦ - ١١١٥)

وفي عهد هؤلاء السلاطين استطاعت الدول العربية أن تجد شيئا من هدوء الحال [2] ، الذي مكن العلماء والأدباء من الرحلة بين أقطارها ، والتلقي عن شيوخها ، والدرس والإفادة ، مما أتاح للعلم والأدب ، ازدهارا عظيما ، ونهضة شاملة .

٢

وفي هذه الفترة عاش محمد أمين بن فضل الله بن محب الله بن محمد محب الدين بن أبي بكر تقي الدين بن داود بن عبد الرحمن بن عبد الخالق المحبي ، الحموي الأصل ، الدمشقي المولد والدار ، الحنفي [3] .

---

(١) انظر حقائق الأخبار ١/٥٨٦ - ٦١٣ .

(٢) انظر مقدمة المحبي لنفحة الريحانة ، صفحة ٧ من هذا الجزء .

(٣) سلك الدرر ٤/٨٦ ، وانظر في نسبه خلاصة الأثر ٣/٢٧٧، ٣٠٨، ٤٢٢ .

وتجد ترجمة المحبي في سلك الدرر ٤ / ٨٦ - ٩١ ، وعقد له السؤالاتي في آخر ذيل النفحة ترجمة اهتم فيها بجمع ما قيل فيه من المراثي ، وتحدث المحبي عن نفسه في آخر النفحة ، لوحات ٣٤٥ ا - ٣٥٠ ب من النسخة ا ، اقتداء بلسان الدين بن الخطيب ، وأورد طرفاً من فصوله القصار ، وبعض رسائله ، وطرفاً من شعره ، يتضمن مقصورته النبوية ، وأرجوزته في الأمثال ، ومقطعاته ، وأبياته المفردة .

ولد بدمشق ، سنة إحدى وستين وألف [1] ، ونشأ بها فى كنف والده .

ثم سلك طريق المعرفة ، وتلقى العلم على شيوخ أجلاء ، نعرف منهم :

١ - إبراهيم بن عبد الرحمن بن على الخيارى ، المدنى ، المتوفى سنة ثلاث وثمانين وألف [2] ، حين ورد الشام .

يقول المحبى [3] : « دخل - أى الخيارى - دمشق ، مع الركب الشامى ، فى ثمان وعشرى صفر ، سنة ثمانين وألف ، فعظم بها قدره ، وانتشر ذكره ، وأقبل عليه أهلها ، وبذلوا فى إكرامه الجهد . . . وأقام بدمشق ثمانية عشر يوما » .

ثم يقول بعد أن ذكر رحلتـه إلى الروم : « ثم قدم دمشق ، واعتنى به أهلها كاعتنائهم به فى قَدْمته الأولى ، وأخذ عنه من أهلها خلق كثير ، واجتمعت أنا به مرارا ، وأسمعته من أوائل الجامع الصحيح للبخارى ، وسمعت منه ، وأجازنى بجميع مروياته ، وكتب لى إجازة بخطه ، فى اليوم الثانى من رجب ، سنة إحدى وثمانين وألف » .

٢ - إبراهيم بن منصور الفتّال ، المتوفى سنة ثمان وتسعين وألف [4] .

يقول المحبى [5] : « وانتفع به من الفضلاء مالا يحصى ، وجميع من نعرفه الآن بدمشق ، المتعينين بالفضل ، المشار إليهم من الجلة ، تلاميذه ... وأنا ممن تشرفت بالتلمذة له ، وقد لزمته من سنة ثلاث وسبعين وألف ، إلى أن انتقل إلى رحمة الله ورضوانه ،

---

(١) سلك الدرر ٤/٨٦ ، ولكن السؤالاتى يذكر فى الترجمة التى صنعها لأستاذه ، والتى ضمها إلى ذيل نفحة الريحانة ، أنه ولد سنة أربع وستين وألف .

(٢) سلك الدرر ٤/٨٦ ، وقد ترجمه المحبى فى : خلاصة الأثر ١/٢٥ - ٢٨ ، ونفحة الريحانة ، ترجمة رقم ٣١٦ ، فى قسم الحجاز .

(٣) خلاصة الأثر ١/٢٥ - ٢٧ ، وانظر ترجمة المحبى له فى النفحة .

(٤) سلك الدرر ٤/٨٦ ، وقد ترجمه المحبى فى : خلاصة الأثر ١/٥١ - ٥٣ ، ونفحة الريحانة ، ترجمة رقم ٥٦ ، صفحة ٥٦٦ من هذا الجزء .

(٥) خلاصة الأثر ١/٥٢ ، وذكر المحبى قريباً من هذا القول ، فى نفحة الريحانة ١/٥٦٧ .

فقرأت عليه مواطن من التفسير ، وأخذت عنه الحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعانى ، والبيان ، والمنطق ، والأصلين ، وشيئا من التصوف والأدب » .

والمحبي عند الفتال منزلة خاصة ، فقد أخذ بيده فى طريق الشهرة والمجد ، ونوه به ، وأشاع أدبه .

يقول المحبي بعد أن مدحه (١) : « على أن ذلك دون استحقاقه ، بالنسبة لما منحنى من كرم أخلاقه ؛ فإنه الذى روّج بضاعتى المُزْجاة ، وشملنى بالحلم والأناه ، ونوّه بى وأشاع أدبى ، وكان لى مكان أبى » .

٣ ـ أبو محمد شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن على النخلى ، المكى ،الشافعى ، الصوفى ، النقشبندى ، المحدِّث ، الفقيه ، المتوفى سنة ثلاثين ومائة وألف (٢) .

أخذ عنه بالحرمين (٣) .

٤ ـ أحمد بن محمد بن عبد الوهاب ، الحلبى ، المهمندارى ، المفتى الحنفى بحلب ،المتوفى سنة خمس ومائة وألف (٤) .

يقول المحبي (٥) : « وهو أحد من حضرت عنده ، واقتدحت فى الاستفادة زنده » .

٥ ـ حسن العجيمى المكى .

أخذ عنه بالحرمين (٦) .

٦ ـ حسين بن محمود بن محمد العدوى ، الزوكارى ، الصالحى ، القاضى ، الشافعى ، المتوفى سنة سبع وتسعين وألف (٧) .

---

(١) خلاصة الأثر ١/٥١ ، وقد قال المحبي قريباً من هذا ، فى نفحة الريحانة ، صفحة ٥٦٧ من هذا الجزء
(٢) سلك الدرر ١/١٧١
(٣) سلك الدرر ٤/٨٦ .
(٤) ترجمة المحبي ، فى نفحة الريحانة ١/٥٦٠ ـ ٥٦٥ ، والمرادى فى سلك الدرر ١/١٨٦ ـ ١٩١
(٥) نفحة الريحانة ١/٥٦١
(٦) سلك الدرر ٤/٨٦ .
(٧) ترجمة المحبي فى : خلاصة الأثر ٢/١١٦ ـ ١١٨ ، ونفحة الريحانة ١/ ٥٨١

يقول المحبي [1] : « وكنت فى أيام الصبا تلقيت عنه بعض معلومات ؛ لاتصال شديد كان بينه وبين والدى ، رحمهما الله تعالى ، واستجزته ، فأجازنى بمروياته » .

٧ ـ رمضان بن موسى بن محمد بن أحمد العطيف ، الدمشق ، الحنفى ، المتوفى سنة خمس وتسعين وألف [2] .

يقول المحبي [3] : « وكنت وصبائى عاطر النفحة ، لدن الغصن ناضر الصفحة ؛ حضرت دروسه فى العربية ، وأخذت عنه أشياء من الفنون الأدبية » .

٨ ـ زين العابدين بن أحمد بن زين العابدين البكرى ، الصديق ، المصرى ، المتوفى سنة سبع ومائة وألف [4] .

٩ ـ عبد الباقى ، المعروف بعارف [5] .

١٠ ـ أبو الفلاح عبد الحى بن أحمد بن محمد العكرى ، الصالحى ، الدمشقى ، الحنبلى ، المعروف بابن العماد ، المتوفى سنة تسع وثمانين وألف [6] .

يقول المحبي [7] : « وكنت فى عنفوان عمرى تلمذت له ، وأخذت عنه ، وكنت أرى لقيته فائدة أكتسبها ، وجملة فخر لا أتعداها ، فلزمته حتى قرأت عليه الصرف والحساب .

---

(١) خلاصة الأثر ٢/١١٨ ، وذكر قريباً منه فى نفحة الريحانة ١/٥٨١ .

(٢) سلك الدرر ٤/٨٦ ، وقد ترجمه المحبي فى : خلاصة الأثر ٢/١٦٨ ، ونفحة الريحانة ، ترجمة رقم ٥٧ ، صفحة ٥٧١ من هذا الجزء .

(٣) نفحة الريحانة ١/٥٧١

(٤) نفحة الريحانة ١/١٥ ، ٥١٦ ، وقد ترجمه المحبي ، فى النفحة ، فى القسم الخاص بمصر ، برقم ٣٢٥ ، وانظر سلك الدرر ١/١٥١ .

(٥) نفحة الريحانة ١/١٦ ، وقد ترجمه المحبي ، فى النفحة ، فى قسم الروم ، برقم ١٤١

(٦) سلك الدرر ٤/٨٦ ، وقد ترجمه المحبي فى : خلاصة الأثر ٢/٣٤٠ .

(٧) خلاصة الأثر ٢/٣٤١ .

وكان يتحفني بفوائد جليلة ، ويلقيها عليّ .

وحباني الدهر مدة بمجالسته ، فلم يزل يتردد إليّ تردُّد الآسي إلى المريض ، حتى قدر الله تعالى لي الرحلة عن وطني إلى ديار الروم ، وطالت مدة غيبتي ، وأنا أشوق إليه من كل شيق ، حتى ورد عليّ خبر موته وأنا بها » .

١١ ـ عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي الحنفي ، الدمشقي ، النقشبندي ، القادري ، المتوفى سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف (١) .

١٢ ـ عبد القادر بن بهاء الدين بن نبهان ، العمري ، الدمشقي ، الشافعي ، المعروف بابن عبد الهادي ، المتوفى سنة مائة وألف (٢) .

يقول المحبي (٣) : « وتصدر للإقراء ، فاشتغل عليه جمع كثير : منهم : ابن عمه عبد الجليل ، ورفيقي في الطلب محمد بن محمد القاضي المالكي بالمحكمة الكبرى ، والفقير، قرأت أنا وإياه عليه طرفا من شرح العضد على مختصر المنتهى لابن الحاجب في الأصول، وشرح الرسالة الوضعية للعصام ، وكنا نطالع شرحه الذي وضعه على المختصر المذكور ، وحقق فيه التحقيق الذي ماوراءه غاية » .

١٣ ـ عثمان بن محمود بن حسن الكفرسوسي ، الشافعي ، الشهير بالقطان ، المتوفى سنة خمس عشرة ومائة وألف (٤) .

يقول المحبي (٥) : « وقد اتحدت به منذ عرفت الاتحاد ، فما رأيته مال عن طريق المودة

---

(١) سلك الدرر ٤/٨٦
وقد ترجمه البوريني ، في تراجم الأعيان ٢ / ٣٧١ ، والمرادي في سلك الدرر ٣ / ٣٠ ، والمحبي في نفحة الريحانة ، برقم ٧٢ .

(٢) سلك الدرر ٤/٨٦ .
وقد ترجمه المحبي في : خلاصة الأثر ٢/٤٣٧ ، ونفحة الريحانة ، برقم ٥٩ ، صفحة ٥٨٦ من هذا الجزء

(٣) خلاصة الأثر ٢/٤٣٧ ، ٤٣٨ .

(٤) ترجمه المحبي في نفحة الريحانة ١/ ٥٩٤ ، والمرادي في سلك الدرر ٣/١٦٧ ـ ١٧٠ .

(٥) نفحة الريحانة ١/ ٥٩٤ .

ولا حاد ؛ وله علىّ مشيخة أنا من بحرها أغترف ، وبألطافها الدائمة أعترف ؛ وكثيرا ماأرد ورده ، وأقتطف ريحانه ووردهُ » .

١٤ ـ علاء الدين محمد بن علي بن محمد ، الحصنى الأصل ، الدمشقى ، المعروف بالحصكفى ، مفتى الحنفية فى دمشق ، المتوفى سنة ثمان وثمانين وألف [١] .

يقول المحبى [٢] : « واشتغل عليه خلق كثير جدا ، وأخذوا عنه ، وانتفعوا به ... وحضرته أنا ، بحمد الله تعالى ، وهو يقرى تنوير الأبصار فى داره ، وتفسير البيضاوى ، فى المدرسة التقوية ، والبخارى ، فى الجامع الأموى ، وانتفعت به » .

١٥ ـ السيد محمد بن عمر العباسى ، الخلوتى ، الدمشقى ، الصالحى ، الحنبلى ، المتوفى سنة ست وسبعين وألف [٣] .

أخذ عنه طريق الخلوتية [٤] .

وذكره المحبى ، فقال [٥] : « شيخنا فى الطريق ... وقد وفقنى الله تعالى الأخذ عنه ، والتبرك بدعواته ، وكان يتحفنى بإمداداته الباطنية » .

وجدّد المحبىُّ العهدَ فى هذا الطريق على السيد محمد غازى الخلوتى ، المتوفى سنة إحدى وثمانين وألف بحلب .

فقد ذكر فى ترجمته [٦] ، أنه قدم دمشق مرتين ، وأخذ عنه الناس الطريق .

ثم قال : « وكنت أنا ، الفقير ، ممن جدّد عليه العهد » .

---

(١) سلك الدرر ٤/٨٦ .
وقد ترجمه المحبى ، فى خلاصة الأثر ٤/٦٣ .
(٢) خلاصة الأثر ٤/٦٣ ، ٦٤
(٣) ترجمه المحبى ، فى خلاصة الأثر ٤/١٠٣ .
(٤) سلك الدرر ٤/٨٦
(٥) خلاصة الأثر ٤/١٠٣ .
(٦) خلاصة الأثر ٤/٢١٣

١٦ ـ محمد بن لطف الله بن زكريا ، الشهير بشيخ محمد العربي ، المتوفى سنة اثنتين وتسعين وألف [١] .

١٧ ـ محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي ، ابن طاهر ، السوسي ، الروداني ، المغربي ، المالكي ، نزيل الحرمين ، المتوفى سنة أربع وتسعين وألف [٢] .

أجاز له [٣] .

وذكر المحبي أنه ورد دمشق ، وأقام بها ، ثم قال [٤] : « واجتمعت به ثمة مرة ، صحبة فاضل العصر ، ودرة قلادة الفخر ، المولى أحمد بن لطفي المنجم المولوي . . . فرأيت مهابة العلم قد أخذت بأطرافه ، وحلاوة المنطق في محاسن أوصافه » .

١٨ ـ محمود البصير الصالحي ، الدمشقي ، الشافعي ، المتوفى سنة أربع وثمانين وألف [٥] .

يقول المحبي [٦] : « وأخذت أنا عنه المنطق ، والهندسة ، والكلام ، وكان هو لما أخذ الهندسة ، احتال على ضبط أشكالها بتماثيل من شمع عسلي ، كان يمثلها له أستاذه الشيخ رجب المذكور [٧] ، فضبطها ضبطا قويا ، فلما قرأت الهندسة عليه ، كنت أعجب من تصويره الأشكال ، كما أخذها عن أستاذه » .

١٩ ـ نجم الدين محمد بن يحيى بن تقي الدين بن عبادة بن هبة الله الفرضي ، الحلبي الأصل ، الدمشقي المولد ، الشافعي ، المتوفى سنة تسعين وألف [٨] .

---

(١) خلاصة الأثر ٤/١٣١ ، ونفحة الريحانة ١/٨

(٢) خلاصة الأثر ٤/٢٠٤ .

(٣) سلك الدرر ٤/٨٦

(٤) خلاصة الأثر ٤/٢٠٥

(٥) سلك الدرر ٤/٨٦

وقد ترجمه المحبي ، في خلاصة الأثر ٤/٣٣٠ .

(٦) خلاصة الأثر ٤/٣٣٠ ، ٣٣١ .

(٧) يعني الشيخ رجب بن حسين .

وقد ترجمه المحبي ، في خلاصة الأثر ٤/٢٦٥

(٨) سلك الدرر ٤/٨٦

يقول المحبي[1] : « كان أعظم شيخ أدركناه ، واستفدنا منه ، . . . ثم جلس مجلس التدريس ، فانتفع به الفضلاء ، طبقة بعد طبقة ، وأدركته أنا أولا ، وهو يدرس دروسا خاصة ، بجامع بنى أمية ، فقرأت عليه الآجرومية ، ثم مات له ولد نجيب ، كان نَبَلَ ، فانقطع عن الدرس مدة سنين . . . ثم جلس للتدريس العامّ ، فى محراب الحنابلة ، فأقرأ أولا الآجرومية ، ثم شرحها للشيخ خالد ، ثم شرح الأزهرية ، ثم شرع فى قراءة شرح القواعد للشيخ خالد ، وشرح تصريف العزى للتفتازانى ، ومن حين شروعه فيهما لزمته لزوما لا انفكاك معه ، إلا مجالس قليلة ، إلى أن أتمهما ، وأقرأ الشذور للقاضى زكريا ، وأتمه ، ثم حضرت عنده ابن المصنف إلى الاستثناء ، وسافرت إلى الروم » .

٢٠ ـ أبو زكريا يحيى بن محمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى النايلى ، الشاوى ، الملياني ، الجزائرى ، المالكى ، المتوفى سنة ست وتسعين وألف[2] .

أجاز له[3] .

يقول المحبى ، بعد أن ذكر رحلاته[4] : « ثم رجع إلى الروم ، فأنزله مصطفى باشا مصاحب السلطان ، فى داره ، وكنت ، الفقير ، إذ ذاك بالروم ، فالتمست منه القراءة ، فأذن لى ، فشرعت أنا وجماعة من بلدتنا دمشق وغيرها . . . فى القراءة عليه ، فقرأنا تفسير سورة الفاتحة من البيضاوى ، مع حاشية العصام ، ومختصر المعانى ، مع حاشية الحفيد ، والخطائى ، والألفية ، وبعض شرح الدوانى على العقائد العضدية .

وأجازنا جميعا بإجازة نظمها لنا .

وكان ما كتبه لى هذا :

---

(١) خلاصة الأثر ٤/٢٦٥ ، ٢٦٦ .

(٢) ترجمه المحبى ، فى خلاصة الأثر ٤/٤٨٦ ـ ٤٨٨ ، ونفحة الريحانة برقم ٢٧٣ .

(٣) سلك الدرر ٤/٨٦

(٤) خلاصة الأثر ٤/٤٨٧

الحمد لله الحميد ، والصلاة والسلام على الطاهر المجيد ، وعلى آله أهل التمجيد .

أجزتُ الإمامَ اللَّوْذَعِيَّ المعــبَّرَا أمِينــاً أمينَ الدِّين روحا مصوَّرَا »

ثم ساق المحبي بقية القصيدة .

وهكذا استطاع المحبي أن يلتقف العلم من أفواه كبار علماء عصره ، وأن يجلس إليهم على اختلاف منابعهم ، وتعــدد مشاربهم ، فيصدر رَوِيَّ النفس ، كبير المحل فى العلم والأدب .

٣

وقد تلقى المحبي علومه الأولى فى دمشق ، ثم حُبِّب إليه الارتحال ، فكانت رحلته الأولى إلى ديار الروم ، مقر الخلافة ، حيث يفد العلماء من كل الأقطار .

ولست أدرى ، على وجه التحديد ، متى كان سفره إلى الروم ، على أن ذلك لم يكن قبل سنة إحدى وثمانين وألف ، فقد لقى شيخه إبراهيم الخيارى فى دمشق ، فى هذه السنة ، وأخذ عنه [١] .

كذلك فإن هذه الرحلة قد بدأت قبل سنة تسع وثمانين وألف ؛ لأن المحبي تلمذ لعبد الحي بن أحمد العكرى ، كما قال ، فى عنفوان عمره ، ثم سافر إلى الروم ، وورد عليه خبر موته وهو بها ، سنة تسع وثمانين وألف [٢] .

وكان دخول المحبي إلى القسطنطينية فى ملك السلطان محمد خان الرابع ابن السلطان إبراهيم خان [٣] ، وظل بها ملازما لشيخه محمد بن لطف الله بن زكريا ، المشهور بشيخ محمد العربي ، الذى استوفى من الصدارة تمام العزة ، وأوفى شرفه على كل الأعزة [٤] ،

---

(١) انظر ما تقدم فى صفحة ٥ .

(٢) خلاصة الأثر ٢/٣٤١

(٣) نفحة الريحانة ١/٧

(٤) نفحة الريحانة ١/٨

حتى توفى سنة اثنتين وتسعين وألف [1] ، فعاد إلى دمشق [2] .

ولعل المحبي أقام فى دمشق حتى سنة ثمان وتسعين وألف ، فإنه لازم شيخه إبراهيم ابن منصور الفتال ، حتى توفى بها فى هذه السنة [3] .

ثم كانت رحلته إلى الحجاز للحج والمجاورة ، وهناك تلقى من الأفواه وعرف من المؤلفات ، ماجعل منه مادة لكتابيه : خلاصة الأثر ، ونفحة الريحانة ، فيما يتصل بأخبار اليمن والبحرين والحجاز [4] .

وحين فارق البيت الحرام ، عزم على الرحلة إلى القاهرة ، فتوجّه أولا إلى الشام ، وظل بها منعزلا عن الناس ، حتى ورد إليها الأستاذ زين العابدين البكرى ، فأخرجه من عزلته ، وأشار عليه بالرحلة معه إلى القاهرة ، حين هم بالرجوع إليها ، ولكن عائقا خلفه ، فظل بدمشق إلى أن قدم إليها المولى عبد الباقى ، المعروف بعارف ، فى طريقه إلى القاهرة ، فصحبه إليها .

وفى القاهرة طابت له الحياة فى ظل الأستاذ زين العابدين البكرى ، والقاضى عبد الباقى ، المعروف بعارف [5] .

ولست أدرى متى غادر المحبى القاهرة إلى دمشق ، ولعله فعل ذلك بعد وفاة الأستاذ زين العابدين البكرى ، سنة سبع ومائة وألف [6] .

وقد اشتغل الأمين المحبى بالقضاء ، فناب فى مكة ، ومصر [7] .

كما اشتغل بالتدريس ، بعد عوده من مصر ، حيث ولى تدريس الأمينية ، وبقيت عليه إلى وفاته [7] .

---

(١) خلاصة الأثر ٤/١٤٢

(٢) نفحة الريحانة ١/٩

(٣) خلاصة الأثر ١/٥٣ .

(٤) خلاصة الأثر ١/٥٣ ، ونفحة الريحانة ١/١٣ ، ١٤

(٥) نفحة الريحانة ١/١٧ ، ١٨ .

(٦) سلك الدرر ١/١٥١

(٧) سلك الدرر ٤/٨٦ .

وفى دمشق عانى المحبى من أمراض استولت عليه ، فقد ذكره الشمس الغزى ، فى كتابه لطائف المنة ، فقال[1] : « اجتمعت به مرتين ، فى خدمة والدى ؛ فإنه كان بينه وبين المترجم مودة أكيدة ، وسمعت من فوائده وشعره ، وكان قد أدركه الهرم ، بسبب استيلاء الأمراض عليه » .

٤

توفى المحبى فى ثامن عشر جمادى الأولى ، سنة إحدى عشرة ومائة وألف ، وصلّى عليه الشيخ عثمان القطان ، فى الجامع الأموى ، ودفن بتربة الذهبية ، من مرج الدحداح ، قبالة قبر العارف بالله أبى شامة[2] .

وقد أكثر أدباء دمشق فى رثائه[3] .

فرثاه السيد مصطفى الصمادى بقصيدة ، أولها :

كن خليلى على البـــكاء مُعينا ... وأفض ماء مقلتيك مَعِينـــا

ورثاه محمد صادق بن محمد ، الشهير بابن الخرّاط ، بقصيدة ، أولها[4] :

هذا المصاب الذى كنـــا نحاذره ... القلبُ من هَوْله شُقّت مَرائرُهُ

ورثاه محمد بن أحمد الكنجى ، بقصيدة ، أولها :

قفا صاحبَىَّ أعينا الحزينا ... وياعين سُحّى على ما لقينـــا

ورثاه السيد سليمان الكاتب الحموى ، بقصيدة ، أولها :

لو يفدى الحىُّ مَيّتا لفدينا ... بأعزّ النفوس منا الأمينا

---

(١) نقل المرادى هذا ، فى سلك الدرر ٤/٨٦ .
(٢) سلك الدرر ٤/٩١ ، وترجمة السؤالاتى لأستاذه المحبى ، فى آخر ذيل النفحة .
(٣) ذكر هذه المراثى كلها السؤالاتى ، فى ترجمة أستاذه المحبى ، فى آخر ذيل النفحة ، وعنه أنقل .
(٤) أورد المرادى ، فى سلك الدرر ٤/٩١ ثلاثة أبيات من أولها .

ورثاه عبد الحى بن على بن الطويل ، الشهير بالخال ، بقصيدة ، أولها :

لو أسمعوا ناعيك رَضْوَى إذ نَعَى   لَوَهَى وخال إلى الثرى متصدّعا

ورثاه القاضى زين الدين بن سلطان ، بقصيدة ، أولها :

همام حَوَى علماً وحاز فضائلا   بتأليفه قد شرّف الوقت والنادي

ورثاه عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرزاق ، بقصيدة ، أولها :

خطْبٌ ألمّ وأدمع تتقطّرُ   ونوائب منها الحشا يتفطّرُ

ورثاه مصطفى بن حمد الترزى ، بقصيدة ، أولها :

وَقْع الحوادث فوق وقع الأسْهُمِ   تُضْنى القلوب بحُرْقة وتألُّمِ

ورثاه سعود بن يحيى العباسى ، الشهير بالمتنبى ، بقصيدة ، أولها :

عليك المعالى لا على البدرِ تأسفُ   لأنك أسمى فى الكمال وأشرفُ

ورثاه محمد السمّان ، بقصيدة ، أولها :

مافوق خَطْب المَنون طارِقْ   بصوته يصدع الخلائقْ

ورثاه محمد المحمودى ، بقصيدة ، أولها :

أضحتْ ربوع الفضل بعدك خاليهْ   وعيونهم من أجل فَقْدك باكيهْ

٥

وحياة المحبى حافلة بالإنتاج العلمى ، زاخرة بالمأثورات الأدبية ، والجهود الخلاقة ، فى رفعة اللغة العربية وآدابها .

فهو صاحب نثر فنى يقارع به كتاب عصره ، ويغلبهم على ما أرادوا ، من سجع ملتزم ، وازدواج يسيطر على أسلوبهم .

نجد هذا واضحا فى صدر التراجم التى أثبتها لمعاصريه ، فى خلاصة الأثر ، وفى نفحة

الريحانة ، كما تجده فيما دار بينه وبينهم من مراسلات ومحاورات .

ولقد ساق في آخر نفحة الريحانة[1] فصلا ، أورد فيه طرفا من فصوله القصار ، يدل على إجادته صنعة الكتابة وإحكامه لها .

وكما برع المحبي في النثر ، فقد ضرب بسهم وافر في الشعر ، والنفحة[2] مشحونة بمعارضاته ومراسلاته للشعراء ، كذلك فقد أورد طرفا من شعره في خلاصة الأثر .

وأول شعر قاله ، في فراق ترب له وحبيب ، وقد ساقه السؤالاتي ، في ترجمته لأستاذه ، في آخر ذيل النفحة ، كما نقله عنه المرادي .

يقول المرادي[3] : « وكان له ترب بدمشق ، ألف بينهما المكتب ، وحبيب كان يرتع معه أيام الصبا ويلعب ، فكان فراقه عنده من أعظم ذنوب البين ، وفي المثل : أقبح ذنوب الدهر تفريق المحبين ، فكتب هذه الأبيات ، وهي أول ماسمح به فكره من النظم :

لا كانتِ الدنيا وأنت بعيدُ ... ياواحداً أنا في هواه وحيدُ
يامن لبستُ لهجره ثوبَ الضنى ... وخلعتُ بُرْدَ اللهو وهو جديدُ
وتركتُ لذّات الوجود بأسرها ... حتى استوى المعدومُ والموجودُ
قسماً بما ألْقَى عليك من العدى ... ومحبُّ وجهك في الورى محسودُ
إن المحب كما علمتَ صُبابةٌ ... فالصبرُ ينقص والغرام يزيدُ
ولقد ملأتَ القلب منك مهابةً ... فعليَّ منك إذا خلوتُ شهيدُ
والحرصُ مذمومٌ بإجماع الورى ... إلا عليكَ فإنه محمودُ

وفي الفصل الذي تحدث فيه المحبي عن نفسه ، في آخر نفحة الريحانة ، ساق جملة من

(١) لوحات ٣٤٥ ا ـ ٣٤٧ ب ، من النسخة ا .
(٢) سيتضمن فهرسا الأعلام والقوافي بيان ذلك .
(٣) سلك الدرر ٤/٨٧ .